

مفهوم الصراع عند ماركس: بين التفسير العلمي والتحيز الأيديولوجي

Marx's Concept of Conflict: Between Scientific Interpretation and Ideological Bias

بن لفيقي صالح

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مولود
معمرى تيزي وزو 15000، تيزي وزو (الجزائر)

salah.benlefki@ummto.dz

عليش خليجة*

مخبر مجتمع تربية عمل، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،
جامعة مولود معمرى تيزي وزو 15000، تيزي وزو (الجزائر)

khelidja.allileche@ummto.dz

ملخص:	معلومات المقال
تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الصراع الطبقي في ضوء التصور الماركسي، بوصفه آلية علمية لتفسير تطور المجتمعات عبر قوانين الحتمية التاريخية، حيث يعزى إلى التناقض بين البورجوازية المالكة لوسائل الإنتاج والطبقة العاملة المستقلة. كما تسعى الدراسة إلى إبراز الدور التاريخي للطبقة العاملة في إحداث التغيير الاجتماعي من خلال وعيها بموقعها داخل البنية الاجتماعية، بما يقودها في النهاية إلى الثورة باعتبارها سبيلا لتحرر من الاستغلال.	تاريخ الارسال: 2026/04/06 تاريخ القبول: 2026/06/10
	الكلمات المفتاحية: ✓ الصراع الطبقي ✓ التفسير العلمي ✓ كارل ماركس
Abstract:	Article info
This study aims to analyze the Marxist perspective of class struggle, viewing it as a scientific mechanism for explaining the development of societies through the laws of historical determinism. The struggle is attributed to the contradiction between the bourgeoisie, who own the means of production, and the exploited working class, who are deprived of them but provide labor. The study also seeks to highlight the historical role of the working class in driving social change through its awareness of its position within the social structure, ultimately leading to revolution as the path toward liberation from exploitation.	Received : 06/04/2026 Accepted : 10/06/2026
	Keywords: ✓ Class Struggle ✓ Karl Marx ✓ Scientific Interpretation

❖ **مقدمة:** يُعد الصراع الطبقي من أهم المرتكزات التي يقوم عليها الفكر الماركسي، إذ يشكل الأداة التحليلية الأساسية لفهم بنية المجتمع الرأسمالي وآليات عمله من جهة، ويفسر ديناميات تطوره التاريخي من جهة أخرى. حيث لا يعتبر "كارل ماركس" المجتمع كياناً متجانساً، بل هو شبكة من الطبقات المتناقضة المصالح التي تتحدد مواقعها في البنية الاجتماعية وفق علاقتها بوسائل الإنتاج، والتي أدت إلى ظهور طبقتين متعارضتين ومتفاوتتين مادياً؛ الطبقة البورجوازية الحاكمة المالكة للوسائل الانتاجية، والطبقة العاملة المحكومة والمحرومة من هذه الوسائل. مما جعل ماركس يبرر هذا الصراع بأنه ليس مجرد نزاع عرضي بين هاتين الطبقتين، بل هو قانون تاريخي يحكم تطور مسارهما الاجتماعي والإنساني. والذي سيؤدي بالطبقة العاملة إلى الانتقال لنمط إنتاجي جديد يضمن لها حقوقها التي كانت تحلم بها في المجتمع الرأسمالي. وانطلاقاً من هذه المعطيات، تتحدد الإشكالية المركزية للدراسة فيما يلي: هل يمكن تفسير الصراع الطبقي تفسيراً علمياً موضوعياً لتطور حركة التاريخ، أم أنه مجرد انحياز أيديولوجي يعبر عن مصالح الطبقة العاملة؟

تتبع هذه الإشكالية من الطبيعة المزدوجة لمفهوم الصراع، فهو من جهة أداة تحليلية تكشف عن التناقضات البنوية للرأسمالية، ومن جهة أخرى أداة تحفيزية تهدف إلى تمكين الطبقة العاملة من إدراك مصالحها وتوجيهها نحو التغيير الاجتماعي. وللإجابة عنها ارتأينا تبني المنهج التاريخي الذي نهدف من خلاله إلى الكشف عن أسباب الصراع الطبقي عبر تطور المراحل التاريخية المختلفة للمجتمع، مما سيساعدنا على فهم كيفية نشأته بين الطبقة البورجوازية والطبقة العاملة في المجتمع الرأسمالي. إضافة إلى المنهج التحليلي الذي سيتيح لنا تحليل البنية الداخلية النظام الرأسمالي والوسائل التي اعتمدها لاستغلال العمال. وذلك وفق خطة منهجية تضم مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة. نتناول في المبحث الأول ضبط مفهوم الصراع الطبقي عند ماركس وعلاقته بالبنية الاقتصادية، ثم ننقل في المبحث الثاني إلى الصراع كتفسير مادي للتاريخ، أما المبحث الثالث والأخير فسنعالج فيه البعد الأيديولوجي لهذا الصراع وانحياز ماركس لطبقة العمال.

عموماً، تهدف هذه الدراسة إلى تقصي مفهوم الصراع الطبقي عند ماركس في أبعاده الاقتصادية، السياسية والأيديولوجية، مع تحليل وظيفة الوعي الطبقي ودوره في الدفع نحو

التغيير الاجتماعي بغية الإجابة عن الإشكالية المطروحة وفهم العلاقة بين التفسير العلمي والانحياز الأيديولوجي في الفكر الماركسي.

❖ الصراع الطبقي عند ماركس: يرى كارل ماركس (Karl Marx) أنّ الصراع الطبقي

ليس مجرد صراع عرضي مؤقت يزول مع مرور الوقت، بل هو عبارة عن تناقض موضوعي دائم بين الطبقات الاجتماعية التي ظهرت بسبب علاقات الإنتاج. وهذا ما يؤكد في البيان الشيوعي من خلال قوله: "إنّ تاريخ أي مجتمع حتى الآن، ليس سوى تاريخ صراعات طبقية" (ماركس وإنجلز، 1987، ص15). فتاريخ كل المجتمعات عبر مراحل تطورها ما هو إلاّ تاريخ صراعات، وهو ما يثبت انقسام الطبقي الذي سادها منذ شأته الأولى، فعلى الرغم من اختلاف صورته إلاّ أنّ مصدره واحد، وهو ارتباطه بالبنية الاقتصادية، ذلك أن لكل مرحلة طبقاتها التي تميزها عما سبقها وما يليها من مراحل.

أرجع كارل ماركس طبيعة الصراع الطبقي إلى تعارض الأهداف والمصالح بين طبقات المجتمع، خاصة داخل النظام الرأسمالي الذي احتدم فيه هذا الأخير بين طبقتين متناقضتين: الطبقة المالكة لوسائل الإنتاج والتي أطلقت عليها تسمية البورجوازية، والطبقة المحرومة من تلك الوسائل وهي الطبقة العاملة أو ما يُعرف بالبروليتاريا. وتتحدد هذه الطبقات الاجتماعية عند ماركس انطلاقاً من مواقعها داخل نمط الإنتاج المهيمن. ففي نمط الإنتاج الرأسمالي، يميّز بين ثلاث مجموعات رئيسية: العمال المأجورون؛ وهم الذين يعملون عند أصحاب العمل أي "الرأسماليين"، والرأسماليون؛ وهم الذين يمتلكون وسائل الإنتاج وبذلك يقومون بتشغيل هؤلاء العمال المأجورين، وأخير ملاك الأراضي؛ وهم الذين يمتلكون الأراضي الزراعية ويعتبرونها وسيلة من وسائل الإنتاج التي تعود عليهم بأرباح مقابل استغلالها، وشأنهم في ذلك شأن الرأسمالين الذي يستغلون طبقة العمال المأجورين. ومن ثمّ، فإن مفهوم الطبقة عند كارل ماركس يتأسس على تحليله للمجتمع الرأسمالي الصناعي في أوروبا وأمريكا خلال القرن التاسع عشر. وقد عبّر عن هذا التصور بوضوح في البيان الشيوعي، حين أكد أن تاريخ كل مجتمع هو تاريخ صراع الطبقات كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك، قبل أن يضيف فريدريك إنجلز في مقدمة طبعة لاحقة سنة 1883 توضيحاً مفاده أنّ المقصود هنا هو التاريخ المدون (كوثراني، 2013، ص 188).

اعتمد إنجلز في تفسيره لظاهرة الصراع على معطيات التاريخ المكتوب، ليثبت أن هذه الظاهرة لم تكن موجودة في المراحل الأولى من الحياة الإنسانية؛ فالأفراد كانوا يعيشون في تلك المرحلة حياة بسيطة تعتمد على الملكية العامة للوسائل ومشاركة الموارد، وهو ما جعل علاقاتهم الاجتماعية قائمة على التعاون والتآخي، ومن ثم فإنهم لم يعرفوا معنى الصراع. غير أن هذا الوضع لم يدم طويلا حيث بدأت بوادر الصراع تظهر مع تطور التنظيمات الاجتماعية القائمة على الملكية الخاصة للوسائل الإنتاجية، ما نتج عنه تفاوت اقتصادي واجتماعي مهد الطريق إلى ظهور طبقتين متميزتين:

• طبقة مالكة لوسائل الإنتاج ومسيطر عليها (البورجوازية).

• طبقة محرومة من وسائل الإنتاج ولا تملك سوى قوة عملها (البروليتاريا).

وبالتالي، فإن الصراع حسب ما ذهب إليه ماركس، ليس سلوكا فطريا نابعا من طبيعة وإرادة الإنسان ذاتها أو وعيه الفردي، ولا توجهها نفسيا ناتجا عن الرغبات الشخصية أو الدوافع النفسية الداخلية كالحسد أو الكراهية، بل هو فعل اقتصادي، واجتماعي، وبنوي ناتج عن تناقضات مادية في أسس الإنتاج.

■ **علاقة الصراع الطبقي بالبنية الاقتصادية للمجتمع:** يربط ماركس الصراع الطبقي بما يسميه بالبنية التحتية الاقتصادية وما تضمه من وسائل وعلاقات إنتاجية. حيث يقول في مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي: "ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم الاجتماعي، بل وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم" (ماركس ك.، 1986، ص 21). بمعنى أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية هي التي تحدد أفكار الأفراد وتصوراتهم وليس العكس، فالإنسان لا يستطيع التفكير مستقلا عن واقعه المادي، فوعيه ومعتقداته ما هي إلا انعكاس لهذا الواقع، وهو ما يمكن تبريره بطريقة التفكير التي تختلف من طبقة إلى أخرى، ومثال ذلك أن تفكير العامل الذي يتمحور حول تحسين أوضاعه وكيفية الاتصال من الاستغلال يختلف عن تفكير صاحب رأس المال الذي يركز على آلية فرض السيطرة ورفع المستوى الإنتاجي وتحقيق الأرباح، وعلى هذا الأساس ميّز ماركس بين بنيتين أساسيتين لهذا المجتمع وهما:

• **البنية التحتية:** وتشمل مجموع الظروف الاقتصادية والاجتماعية المادية وأنماط الإنتاج السائدة ومختلف الوسائل والمهارات، إلى جانب العلاقات التي تنشأ بين أفراد المجتمع كعلاقة الملكية، وعلاقة الاستغلال وغيرها.

• **البنية الفوقية:** وتضم الأفكار والقيم الروحية والنظم السياسية، والقانونية، والدينية، والأخلاقية التي تبرر النظام الاقتصادي القائم والتي تحمي في الوقت نفسه الملكية الخاصة التي تخدم البورجوازية.

ويؤكد ماركس تبعاً لهذا التقسيم أن البنية التحتية هي المحدد الأساسي للبنية الفوقية، إذ تعكس هذه الأخيرة الشروط الاقتصادية السائدة في المجتمع، وبالتالي فإن الصراع الطبقي:

• نابع من التناقض الموجود داخل القاعدة الاقتصادية التي تتأسس على القوى الإنتاجية كالأدوات مثلاً من جهة، والعلاقات الإنتاجية كعلاقة العامل بصاحب العمل من جهة أخرى.

• ينعكس في المؤسسات السياسية والقانونية والأيدولوجية، حيث أن الصراع الطبقي لا يُختزل فقط في الجانب الاقتصادي، بل يتجاوز إلى المجال السياسي الذي يحمي مصالح الطبقة الحاكمة، ويفرض استقرار النظام الاقتصادي، وأيضاً إلى المجال القانوني الذي تُشرع فيه قوانين تنظم الملكية الخاصة وتبررها من خلاله، كما امتد أيضاً إلى الجانب الأيدولوجي الذي تقوم من خلاله بنشر أفكار يُنظر من خلالها إلى الوضع القائم على أنه طبيعيًا.

• يتخذ أشكالاً متعددة حسب نمط الإنتاج السائد، أي أن هذا الصراع يتحول بتحول البنية الاقتصادية التي تفرز بنية طبقية ناتجة عنها، وهو ما تعكسه السيرورة التاريخية للمجتمعات.

■ **الصراع الطبقي كمحرك للتاريخ:** يرى ماركس أن الحياة الاجتماعية بطبيعتها مليئة بالتناقضات والاختلافات، ففي كل المجتمع تظهر طبقة قوية تملك السلطة والمال، وطبقة ضعيفة تخضع لها. وغالباً ما تقود هذه التناقضات والصراعات إلى إعادة بناء العلاقات الاجتماعية. ويؤكد أن هذه الصراعات ليست عابرة، بل دائمة ومستمرة، وتتخذ أشكالاً متعددة؛

فقد تكون علنية كالثورات والحروب أو خفية كالظلم والاستغلال، وفي النهاية ينتج عنها إما تحول جذري شامل في بنية المجتمع وهذا يؤدي إلى التطور والتغير، أو زوال الطبقات المتصارعة معًا (ماركس و إنجلز، 1987، ص 15).

وما يعزز فكرة الصراع الطبقي تلك التحولات التاريخية التي عرفتتها المجتمعات، ففي المجتمع الإقطاعي قام الصراع بين الإقطاعيين أصحاب الأرض وبين الأفيان وهم الفلاحون الذين يعملون عندهم، وفي المجتمع الرأسمالي يقوم على صراع بين البرجوازية والبروليتاريا. وكل مرحلة تاريخية تحمل بذور زوالها في داخلها والتي تسببها لها الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، ما ينتج عنه ظهور نظام جديد يحل محل النظام القائم. فالتاريخ إذن، حسب ماركس، في حركة مستمرة أساسها الصراع الطبقي الذي يشكل القوة الدافعة التي توجه مساره.

❖ الصراع كتفسير مادي للتاريخ:

■ **المادية التاريخية:** تُعرف المادية التاريخية على أنها حالة خاصة من المادية الجدلية، تقوم على أن الوقائع الاقتصادية هي أساس تحديد وتفسير كل الظواهر التاريخية والاجتماعية، أما الانتقال من نمط انتاجي تاريخي إلى آخر فيقوم على تغيير علاقات الإنتاج التي تربط بين الأفراد داخل النمط الواحد (سعيد، 2004، ص 405). فالإقتصاد حسب المادية التاريخية هو المحرك الأساسي للتاريخ وكل ما ينجم من تغيرات في المجتمع يعود إلى تطور هذا الإقتصاد وتناقضاته الداخلية.

ينسب مصطلح "المادية التاريخية" إلى الفيلسوف الألماني فريدريك إنجلز، فهو أول من استعمله بشكل صريح، وذلك في كتابه *الاشتراكية الطوباوية والعلم*، للدلالة على التصور المادي للتاريخ، ويرى من خلالها أن التطور الاقتصادي للمجتمع، والتحولات التي تمس أنماط الإنتاج والتبادل وما ينج عنها من انقسام وصراع طبقي للمجتمع، هو المحرك الحقيقي للأحداث التاريخية وليست الأفكار أو الفلسفة ولا حتى السياسة (إنجلز، 2013، ص 122).

ومفاد هذا أنّ العلة الأولى لصيرورة التاريخ تكمن في الظروف الاجتماعية والاقتصادية المادية للإنتاج وعلاقاته، والتي تنتج في الأخير شكل المجتمع، طبقاته، صراعاته وتناقضاته، وغيرها من العوامل المؤسّسة لتطور المجتمعات والتاريخ.

أما كارل ماركس، فلم يخصّص كمؤسّس مباشر لشرح المادية التاريخية. فعلى الرغم من أنّ محتواها الأساسي يُنسب إليه إلا أنّ معالمها الأساسية في مختلف أعماله وردت على شكل تحليلات متفرقة. ويعود ذلك إلى اعتباره أنّها منهجاً عملياً في التحليل الاجتماعي والتاريخي والسياسي، لا باعتبارها نظرية فلسفية مجردة.

ومن هذا المنطلق، تعدّ المادية التاريخية حالة خاصة من المادية الفلسفية، إذ تركز في تحليلها وتفسيرها على الظواهر الاجتماعية والاقتصادية، وتسعى إلى الكشف عن القوانين العامة والقوى المحركة لتطور المجتمع الإنساني. ولا يقتصر مجالها على دراسة تاريخ المجتمعات والشعوب وكيفية تطور نظمها الاجتماعية والاقتصادية عبر فترات تاريخية معينة فحسب، بل تمتد لتشمل تحليل قوانين الحياة الاجتماعية المعاصرة لمختلف النظم، سواء كانت رأسمالية أو اشتراكية أو نامية، ودراسة الظواهر الاجتماعية والبشرية بصورة شاملة (فياض، 2017، ص 5).

تتطلق المادية التاريخية من مسلّمة مفادها أن إنتاج الحياة المادية هو الشرط الأول لكل وجود اجتماعي. فالبشر قبل أن ينشغلوا بالفكر أو السياسة أو الأخلاق، لا بد أن ينتجوا وسائل عيشهم. يقول ماركس وإنجلز في *الأيديولوجيا الألمانية*: "لا بدّ على البشر أن يكونوا في مركز يمكنهم من العيش كما يكون في مقدورهم أن يصنعوا التاريخ، بيد أنّ الحياة تشمل قبل كل شيء المأكل والمشرب والسكن والملبس وأشياء عديدة أخرى" (ماركس و إنجلز، 1976، ص 37). ومن ثمّ، فإن نمط الإنتاج المادي هو الذي يحدد شكل العلاقات الاجتماعية، وبالتالي يحدد طبيعة الصراعات داخل المجتمع. فالمادة حسب ماركس هي التي تفسر كل شيء في الكون وفي المجتمع الإنساني. وإنّ العامل الحاسم في حركة التاريخ هي علاقات الإنتاج (الجندي، ص 46).

ومن هذا المنطلق، فإنّ نشأة الوقائع التاريخية والظواهر الاجتماعية تُفسّر أساساً بعوامل اقتصادية، وحتى أشكال الوعي الاجتماعي فإنّها تتحدد تبعاً لهذا الأساس الاقتصادي فكل

حركة اجتماعية، أو سياسية أو فكرية مرتبطة بنمط الإنتاج القائم وخاضعة لقوانينه. ومن خلال هذا نجد أنّ المادية التاريخية قد أفسحت المجال أمام البحث في كيفية نشوء البنية الاجتماعية-الاقتصادية، ومسار تطورها، وأسباب استمرارها، بل وحتى العوامل المؤدية زوالها.

■ **دور الصراع الطبقي في التغيير الاجتماعي:** يُعدّ الصراع الطبقي محورا أساسيا في فهم التحولات الاجتماعية وتفسيرها لدى كل من كارل ماركس وفريدريك إنجلز، فهو ليس ظاهرة عرضية بل جوهرية ومتواصلة، فهي نتيجة طبيعية للتناقضات البنوية في المجتمع الطبقي. يقوم هذا الصراع على الاختلاف الظاهري بين من يمتلكون وسائل الإنتاج والثروة وبين من لا يملكون سوى قدرتهم على العمل (ماركس، 1998، ص 973).

يرى ماركس أنّ هذا الصراع لم ينشأ مع المجتمع الرأسمالي، بل كان موجودا منذ القدم في كل المجتمعات البشرية التي تتصف بالانقسام، إذ يظهر ذلك بشكل واضح في المراحل التاريخية المختلفة: ففي المجتمع العبودي يتجلى الصراع بين السيد والعبد، وفي النظام الإقطاعي بين الإقطاعي والفلاح، أما في المجتمع الرأسمالي الحديث فيتجلى في التناقض بين البرجوازية، أي طبقة أصحاب وسائل الإنتاج، والبروليتاريا، أي الطبقة العاملة التي تتبع قوة عملها (ماركس و إنجلز، 1987، ص 16).

يشير ماركس إلى أن الصراع الطبقي ليس مجرد مواجهة اقتصادية فحسب، بل هو المحرك الأساسي للتغيير الاجتماعي، وذلك من خلال تفاقم التناقضات الاجتماعية إذ يؤدي تراكم رأس المال في أيدي فئة محددة إلى تعميق الفقر والمعاناة لدى الأغلبية العاملة، مما يولد حالة من الاحتقان الاجتماعي المستمر. يقول ماركس في *رأس المال*: "إن تراكم الثروة في قطب هو في الوقت نفسه تراكم البؤس والعذاب والاستعباد في القطب المقابل (ماركس، 1998، ص 673).

فالتوزيع غير العادل للثروة أنتج علاقات غير عادلة قائمة على السيطرة والاستغلال الذي تمارسه الطبقة البورجوازية الغنية التي تملك القوة بسبب وضعها الاقتصادي في حق العمال الفقراء الذين لا يملكون شيئا إلا قوتهم الجسدية التي يبيعونها مقابل القليل من المال لسد حاجياتهم وتوفير سبل العيش لعائلاتهم، مما جعلهم يعيشون القهر والحرمان، حتى أنه تم استغلال الأوقات المخصصة للراحة بحجة عبر زيادة ساعات العمل، فأصبحوا ينتجون أكثر

مما يتقاضون، وهو يعني إنتاجاً زائداً بأقل تكلفة ممكنة، وهذا ما يحقق ما يسمى بفائض القيمة التي يستولي عليها أصحاب رؤوس الأموال الذين يزدادون غنى في الوقت الذي يزداد فيه العمال فقراً وعبودية، الأمر الذي أدى بهم إلى فقدان إنسانيتهم ومعايشة اغتراب اقتصادي شمل مختلف الأبعاد الإنسانية الاجتماعية، والسياسية، وحتى النفسية، وهذا ما أكدته ماركس بقوله: «هو انفصال العامل عن شروط الإنتاج ومنتوجه، سيطرة المنتج على العامل: على وجوده، حياته وهو اغتراب اقتصادي ينعكس على كل قسم من المجتمع (توزيل، لوبويني، و باليبار، 2006، ص 45).

■ **الثورة كنتيجة حتمية للصراع الطبقي:** يرى ماركس أن المجتمعات عبر تطورها التاريخي لم تكن منسجمة ومتوافقة، بل كانت مضطربة نتيجة تباين واختلاف المصالح والأهداف بين مختلف طبقاتها سواء بين الأحرار والعبيد، أو النبلاء والعامّة، والبارونات والأقنان، أي بين الظالمين والمظلومين ككل، وتفاقم هذا الاختلاف يؤدي حتماً إلى استنفاد الطرق السلمية أو الإصلاحات الجزئية التي تصبح عاجزة أمام هذا التناقض مما سيؤدّ بالضرورة ظهور صراعات وثورات تعيد تشكيل خارطة العلاقات الاجتماعية. وفي هذا يقول: "إن تاريخ أي مجتمع حتى الآن، ليس سوى تاريخ صراعات طبقية: حر وعبد، نبيل وعامي، بارون وقن، معلم وصانع، وبكلمة ظالمون ومظلومون، في تعارض دائم، خاضوا حرباً متواصلة، تارة معلنة وطوراً مستترة، حرباً كانت تنتهي في كل مرة إما بتحول ثوري للمجتمع كله، وإما بهلاك كلتا الطبقتين المتصارعتين" (ماركس و إنجلز، 1987، ص 15).

وانطلاقاً من هذا التحليل، تسعى الماركسية إلى الكشف عن البنى والقوانين التي تحكم هذا الصراع من أجل تحديد مآلاته التاريخية. فحسب ماركس إنّ توسّع استغلال العمال ونمو وعيهم الطبقي يدفعهم إلى الثورة التي تُعتبر النتيجة النهائية للصراع الطبقي حين تبلغ التناقضات قمتها. فالثورة ليست من صنع الإرادة الإنسانية الحرّة، بل هي تعبير عن تحول جذري في البنية الاجتماعية فرضها استحالة استمرار علاقات الإنتاج القديمة. ويؤكد ماركس في البيان الشيوعي: "إن البرجوازية تُنتج، قبل كل شيء، حفّاري قبرها فانهايارها وانتصار البروليتاريا أمران حتميَّان" (السواء) (ماركس و إنجلز، 1987، ص 27).

فالرأسمالية في تشكيلتها الداخلية تحمل بذور فنائها، والتي أنتجت تناقضاتها المتزايدة التي أدت بدورها إلى ظهور قوة منظمة مناهضة لها، والتي تحمل لواء الثورة ومهمة التغيير الجذري، تتمثل في البروليتاريا التي يلوح انتصارها في الأفق في سياق التطور التاريخي.

■ البعد الأيديولوجي للصراع وانحياز ماركس للبروليتاريا:

➤ **البعد الأيديولوجي للصراع:** يمتدّ الصراع الطبقي، وفق الرؤية الماركسية، إلى ما هو أبعد من نطاق العلاقات الاقتصادية، ليشمل البعد الأيديولوجي والثقافي للمجتمع. فالطبقة المسيطرة اقتصاديًا لا تكتفي بالسيطرة على وسائل الإنتاج فحسب، بل تسعى أيضًا إلى فرض رؤيتها للعالم بوصفها أفكارًا عامة ومقبولة من الجميع. وبذلك، تتحوّل الأيديولوجيا إلى أداة من أدوات الهيمنة الطبقيّة، تعمل على إخفاء أوجه الاستغلال الاجتماعي وإضفاء شرعية على النظام القائم (ماركس و إنجلز، 1987، ص 19). ويؤكد ماركس في هذا الصدد: "إن أفكار الطبقة الحاكمة هي في كل عصر الأفكار الحاكمة" (ماركس و إنجلز، 1976، صفحة 63).

وعليه فإنّ الطبقة الحاكمة لا تسيطر على الوسائل والعلاقات الإنتاجية فحسب، بل حتى في إنتاج الأفكار والقيم الزائفة التي تدّعي من خلالها حماية مصالح المجتمع، لكن في واقع الأمر تحمي بها مصالحها، فتصبح بذلك مهيمنة على المجتمع اقتصاديا وفكريا.

تكمّن وظيفة الصراع الأيديولوجي، من منظور ماركس، في تفكيك هذا الوعي الزائف الذي يقدمه النظام الطبقي المسيطر، والعمل على بناء وعي طبقي ثوري لدى العمال. فالتوعية الأيديولوجية تمكّن الطبقة العاملة من إدراك مصالحها الحقيقية، والتمييز بين ما يُقدّم لها من قيم وأفكار بوصفها عامة وبين مصالحها المادية الفعلية. وبهذا يتحول الصراع الطبقي من مجرد مواجهة اقتصادية إلى صراع ثقافي وسياسي شامل، يُعدّ الأرضية اللازمة للتغيير الاجتماعي العميق (ماركس، 1998، ص 682).

إن البعد الأيديولوجي للصراع يظهر بوضوح في المؤسسات الاجتماعية كالمؤسسات التعليمية التي تقوم بنقل معارف معينة لإضفاء طابع الشرعية على أفعالها والمؤسسات الدينية التي تفسر الممارسات التي يقوم بها النظام على أنّها أخلاقية والتي يبرر من خلالها التفاوت الاجتماعي الذي يسوده. أما المؤسسات الثقافية والإعلامية، فتساهم بنشر الصور

التي تعمل غالبًا على تحسين صورة الطبقة المسيطرة. ومن هنا، يبرز الدور الحاسم للوعي الطبقي في مقاومة الهيمنة الفكرية، وتهيئة المجتمع للانتقال من حالة الاستغلال إلى حالة العدالة والمساواة.

➤ **انحياز ماركس للطبقة العاملة:** يمثل انحياز كارل ماركس للطبقة العاملة محورًا أساسيًا في تحليله للصراع الطبقي وفهمه للتغيير الاجتماعي. فقد اعتبر ماركس البروليتاريا الفاعل التاريخي الذي يحمل إمكانيات تحرير المجتمع من قيود الاستغلال الطبقي، لكونها الطبقة المحرومة من ملكية وسائل الإنتاج والمستضعفة اقتصاديًا، لكنها في الوقت نفسه تمتلك القدرة على الوعي بمصالحها المشتركة وتنظيم نفسها سياسيًا (ماركس و إنجلز، 1987، ص 28). فهذه الطبقة، حسب ماركس، بمجرد أن تنظم نفسها سياسيًا، تصبح قادرة على السيطرة على أجهزة الدولة، وبالتالي ستستحوذ على السلطة ما سيساعدها على انتزاع الملكية ورأس المال من البورجوازية وتركيزها في يد المجتمع وتتحول بذلك إلى ملكية عامة وهذا ما سيمهد لظهور المجتمع الشيوعي. ويبرر ماركس هذا الانحياز بعدة أسباب نظرية وعملية هي:

✓ **المكانة الاقتصادية للبروليتاريا:** فالطبقة العاملة تفتقر إلى الملكية، مما يجعلها الهدف المباشر للاستغلال الرأسمالي، وفي الوقت نفسه يخلق لديها الدافع الطبيعي لمقاومة هذا الاستغلال (ماركس، 1998، ص 673). فالعامل الذي يعيش تبعية في مختلف جوانب حياته ويتعرض لشتى أشكال الاستغلال هو الوحيد القادر على إحداث التغيير وتحريك عجلة التاريخ، حيث لا يوجد ما يخسره سوى القيود التي فرضت عليه من طرف النظام القائم.

✓ **تشكل الوعي الطبقي والتحول الثوري:** يرى ماركس في كتابه "بؤس الفلسفة" أن الظروف الاقتصادية التي أفرزها النظام الرأسمالي حولت الأفراد إلى عمال مأجورين، إذ وضعتهم في موقع مشترك مع المصالح أمام سلطة رأس المال، الأمر الذي جعلهم يشكلون طبقة في مواجهة هذه السلطة. غير أن هذه الطبقة لم تكن بعد "طبقة لذاتها". ومع ذلك، فإن الصراع والنضال يتيحان لهؤلاء العمال إمكانيات الاتحاد وتنظيم صفوفهم ليصبحوا طبقة واعية بذاتها، تتحول مصالحها إلى مصالح طبقية، ويغدو الصراع حينها

صراعا بين طبقة وأخرى، لكن هذا المرة في بعده السياسي (ماركس ك.، 2010، ص 252).

يرى ماركس أنّ طبقة العمال التي أفرزتها الظروف الاقتصادية الرأسمالية لم تكن منذ البداية واعية بذاتها كطبقة بل كانت مجرد تجمع لأفراد يشتركون في الأوضاع المادية دون إدراك مصالحهم المشتركة، وهو ما يسمى "طبقة في ذاتها" موجودة وجودا موضوعيا اقتصاديا، حيث كان تفكير كل عامل فيها منصبا فقط في كيفية حل مشاكله الفردية، دون وعي منه أنّ الافراد الذين ينتمون إلى تلك الطبقة يعانون المشاكل والأوضاع ذاتها. غير أنّ استمرار الاستغلال وتدهور الأوضاع أدى تدريجيا إلى تنامي الوعي لدى هؤلاء العمال وأدركوا أنهم يعيشون معاناة مشتركة من بطالة، غلاء الأسعار، وغيرها، وأنها صادرة من بنية النظام الذي أوجدته كطبقة عاملة، فبدأ هذا الوعي بالتحول من أنا إلى نحن، وتنتقل الطبقة "في ذاتها" إلى طبقة "لذاتها" تسعى إلى الدفاع عن مصالحها. ويتعزز هذا الوعي أكثر بالتنظيم والتنسيق على شكل أحزاب ونقابات يدخلون في صراع سياسي يهدف بتغيير جذري في بنية النظام الرأسمالي بعدما كان صراعا اقتصاديا يتمحور حول رفع الأجور وتحسين المستوى المعيشي.

✓ **المهمة التاريخية لطبقة البروليتاريا:** وفق النظرية الماركسية، يُنظر إلى الطبقة العاملة على أنها القوة الاجتماعية الوحيدة القادرة على القضاء على الاستغلال الطبقي ككل، لأنها لا تنظر إلى الثورة من زاوية تحقيق مصلحتها الخاصة فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى مصلحة الأغلبية، على عكس ما كان سائدا في الحركات التاريخية السابقة التي لا تسع إلى تغيير النظام، بل تغيير الطبقة الحاكمة فقط لتحل محلها طبقة أخرى تحقق مصالحها. يقول ماركس: " فحتى الآن كانت الحركات كلها إمّا حركات أقليات وإمّا لمصلحة الأقليات، والحركة البروليتاريا هي الحركة القائمة بذاتها، للأغلبية الساحقة في سبيل الأغلبية الساحقة. والبروليتاريا، الفئة الدنيا في المجتمع الراهن لا يمكنها أن تنهض وتنصب دون أن تتسلف البنية الفوقية كلها للفئات التي تؤلف المجتمع الرسمي "(ماركس وإنجلز، 1987، ص 26).

إنَّ المشروع الثوري لطبقة البروليتاريا لا ينحصر في تحسين ظروفها المعيشية داخل النظام الرأسمالي فحسب، بل تغييره إلى نظام آخر تُحقّق فيه العدالة الاجتماعية، ويقضى فيه على التفاوت، حيث تتحول فيه الملكية الخاصة ملكية جماعية لوسائل الإنتاج، الأمر الذي سيؤدي إلى زوال الطبقة وقيام مجتمع شيوعيتسوده المساواة بين جميع الطبقات الاجتماعية على اختلافها.

إن انحياز ماركس للبروليتاريا لا يعني تجاهل الفئات الأخرى في المجتمع، بل ينبع من اعتقاده بأن تحرير المجتمع من الاستغلال والهيمنة الاقتصادية والسياسية مرتبط مباشرة بقيادة الطبقة العاملة، وهو ما يبرز الطبيعة العملية والنظرية لنظرية الصراع الطبقي.

❖ الانتقادات الموجهة للنظرية الماركسية: على الرغم من الأهمية البالغة التي حظيت

بها النظرية الماركسية في تفسير التحولات الاجتماعية والاقتصادية، والتي أسسها ماركس على الصراع الطبقي والجانب المادي، إلا أنها لم تسلم من الانتقادات. حيث اعتُبر أن ماركس حصر نشأة الصراع الطبقي في العامل الاقتصادي وحده، متجاهلاً العوامل الأخرى والتي لا تقل أهمية مثل الدين، الأيديولوجيا، الثقافة، والسياسة. فرغم اختلاف درجة تأثيرها والتي تعود للظروف الاجتماعية والتاريخية التي نشأت فيها، إلا أنّ تشكّل البنية الكلية لظاهرة الصراع (Ghous, 2020, p. 141). هذا من جهة، من جهة أخرى انتقد أيضاً في تركيزه على الحتمية الاقتصادية فقط في تفسير الصراع الطبقي، وأهمّل عاملي الوعي والأخلاق اللذين يضطلعان بدور أساسي في توجيه سلوك الأفراد والجماعات داخل المجتمع، وهو ما يؤدي إلى تضيق مجال التفسير في نظرية الصراع (Ghous, p. 141). وفي السياق ذاته، يرى بعض النقاد الغربيين أمثال غرامشي، لوكاش، سارتر، كورش، ومنظري مدرسة فرانكفورت، أنّ ماركس مال كثير إلى الحتمية التاريخية واختزال التاريخ في بعده المادي، مما قلّل من شأن الفعل الإنساني ودوره في صنع الأحداث التاريخية، و قد دعا "غرامشي" إلى ضرورة رد الاعتبار للذات الإنسانية داخل التحليل الماركسي، وإعطاء الأولوية للقوانين السياسية والأفكار والقيم الاجتماعية في تشكيل التاريخ الإنساني، فضلاً عن إبراز الدور الذي يلعبه الجانب الفكري والثقافي في تغيير الواقع الاجتماعي والتاريخي (Ghous, p. 147). كما انتقد أيضاً من

طرف معظم رواد مدرسة فرانكفورت فيما يخص اعتبار الطبقة العاملة قوة تغييرية في المجتمع الرأسمالي، واهماله للفئات الأخرى رغم أنها تعاني من نفس الظروف. (بوتومور، 1998، ص 129). نفس ما ذهب إليه "ريتزر وشوبيرت" الذي انتقده في قضية طبقة البروليتاريا التي جعل منها الفاعل الوحيد القادر على إحداث التغيير الاجتماعي، ولم يعر أي اهتمام لدور مختلف الفاعلين الاجتماعيين مثل النساء، والسود وغيرهم من الفئات المهمشة (Ghous, p. 147). ما دفع إلى إعادة قراءة النظرية الماركسية في صورتها التقليدية، بحيث اذ لم يعد التركيز فيها مقتصرًا على الجوانب المادية فحسب، بل توسع ليشمل الأبعاد الاجتماعية والثقافية مع رد الاعتبار لتجارب الفئات المتعددة داخل المجتمع (Ghous, p. 147).

أما كارل بوبر فقد وجه انتقادًا شديدًا لماركس، واصفا إياه بـ "النبي الزائف" في توقعاته التاريخية التي ضللت أتباعه، إذ أدى خلقت لديهم اعتقادًا خاطئًا بإمكانية التنبؤ العلمي بمسار التاريخ من خلال قوانين حتمية، كما رأى أيضًا أن تنبؤات ماركس المتعلقة بحل المشكلات الاجتماعية باءت بالفشل، ما جعلها تلك خاضعة للنقد والمراجعة (بوبر، 2015، ص 133). ومع ذلك، فإن النظرية الماركسية ما تزال تشكل إطارًا تحليليًا مهمًا لفهم التحولات الاجتماعية والتاريخية، خاصة بعد التعديلات التي أدخلت عليها بإضافة البعد الثقافي والاجتماعي إلى منظومتها التفسيرية.

❖ **خاتمة:** في ختام هذا البحث، يتضح أن الصراع الطبقي عند ماركس ليس مجرد وسيلة لتفسير تطور المجتمعات فحسب، بل يُنظر إليه باعتباره قانونًا موجهًا لمسار الانتقال من مرحلة تاريخية إلى أخرى، مثل الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية. ومن ثم، فإن الصراع ليس غاية في ذاته، بل أداة يلجأ إليها الإنسان المهمش لتجاوز الاستلاب الاقتصادي والاغتراب الإنساني الذي يعانيه في ظل الأنظمة الاستبدادية. أما انحياز ماركس إلى الطبقة العاملة واعتبارها طبقة ثورية، فيعود إلى وعيها الذاتي الذي يميزها عن غيرها، إذ عاشت أشكالًا متعددة من التفاوت والاستغلال، الأمر الذي يؤهلها لقيادة مشروع تحرري شامل، ويجعل من دعوتها قراءة للواقع الاجتماعي بعيون المهمشين.

ومن هذا المنطلق يمكن تلخيص أهم النتائج المتوصل إليها في النقاط التالية:

✓ فسّر ماركس التاريخ تفسيراً علمياً موضوعياً من خلال ربطه بالحتمية التاريخية، حيث اعتبر أن مسار التاريخ يسير وفق قوانين حتمية تؤدي في النهاية إلى انهيار النظام الرأسمالي وصعود الاشتراكية.

✓ حلّ ماركس الصراع الطبقي تحليلاً علمياً بالاستناد إلى معاناة الواقع الاقتصادي القائم على وجود طبقات متباينة (أغنياء وفقراء)، وفسر ذلك بعوامل مادية مرتبطة بوسائل الإنتاج، ليصوغ قانوناً مفاده أنّ كل تفاوت طبقي يولّد صراعاً، وأن كل صراع يفضي إلى ثورة.

✓ إن فهم أسباب الاستغلال والاضطهاد داخل أي مجتمع يرتبط بتجارب الأفراد ووعيهم بمواقعهم في البنية الاجتماعية وعلاقاتهم بوسائل الإنتاج.

✓ يظهر البعد الأيديولوجي في فكر ماركس من خلال دعوته إلى تغيير الواقع الاجتماعي وهي مهمة يربطها بالطبقة العاملة التي تنتشع بالوعي السياسي الكفيل بإحداث التغيير الجذري للنظام.

وفي ضوء هذه النتائج، تقترح الدراسة جملة من الاقتراحات يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

✓ ضرورة تحقيق العدالة الاجتماعية عبر إزالة الفوارق الطبقيّة وضمان التوزيع العادل للثروات بين كل فئات المجتمع.

✓ تشجيع أسلوب الحوار بدلاً من الصراع بين الطبقات، والسعي نحو الإصلاح السلمي بدلاً من الثورة.

✓ التأكيد على أهمية مراعاة دور الدين، السياسة والثقافة في تفسير المجتمع، وعدم الاكتفاء بالاقتصاد وحده، إذ أن التفاعل المتبادل بين هذه العوامل يمنح رؤية أشمل لفهم البيئة الاجتماعية وتطورها.

❖ قائمة المراجع:

1. أندري توزيل، سيزار لوبوني، و إيتين باليبار. (2006). ماركس ونقده للفلسفة. (عبد الله جوزيف ، المترجمون) بيروت: دار الفارابي.
2. أنور الجندي. (بلا تاريخ). التفسير الإسلامي للتفكير البشري. مصر: دار الاعتصام.
3. توم بوتومور. (1998). مدرسة فرانكفورت. (سعد هجرس، المترجمون) طرابلس: دار أوبا للطباعة والنشر والتوزيع.
4. جلال الدين سعيد. (2004). معجم المصطلحات الفلسفية. تونس: دار الجنوب للنشر.
5. حسام الدين فياض. (2017). كارل ماركس وعلم المجتمع.
6. عبد السلام الحوارني. (2008). فن نظام الملكية في تفسير ماركس للصراع الطبقي. دار العلم.
7. فريدريك إنجلز. (2013). الإشتراكية: الطوباوية و العلم. بيروت: دار الفارابي.
8. كارل بوبر. (2015). المجتمع المفتوح واعدائه. (حسام نايل، المترجمون) بيروت: دار الطباعة والنشر.
9. كارل ماركس. (1986). مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي. (عادل زعيتر، المترجمون) بيروت: دار الفارابي.
10. كارل ماركس. (2010). (محمد مستجير مصطفى، المترجمون) بيروت: دار الفارابي.
11. كارل ماركس، و فريدريك إنجلز. (1976). الأيديولوجيا الألمانية. (فؤاد أيوب، المترجمون) دمشق: دار دمشق.
12. كارل ماركس، و فريدريك إنجلز. (1978). البيان الشيوعي. (فهد كم نقش، المترجمون) موسكو: دار التقدم.
13. كارل ماركس، و فريدريك إنجلز. (1987). بيان الحزب الشيوعي (الإصدار 1). (عصام أمين، المترجمون)
14. ماركس. (1998). رأس المال (المجلد 1). (إلياس شاهين، المترجمون) بيروت: دار الفارابي.
15. وجيه كوثراني. (2013). تاريخ التأريخ؛ اتجاهات مدارس مناهج (الإصدار 2). بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
16. Ghous, G. (2020, July–December). Classical Marxism to Postmodern Marxism: Theorization of Social Conflict and Ideology as a Determinant. *Journal of Politics and International Studies*, 6(2), 141–156.